الأدب الإسلامي: إشكالية المصطلح

كمال سعد محمد خليفة

في الآونة الأخيرة زاد الاهتمام بما يسمى بـ: "الأدب الإسلامي" وتدافعت الدراسات الأدبية في مجموعة من الدوريات التي تصدر في العالم العربي والإسلامي في الاستئثار بإبداعات ودراسات لأقلام كثير من المبدعين، وفكر كثير من النقاد، لفت انتباههم انتشار هذه الظاهرة فأعملوا فيها أقلامهم وخبراتهم. مما أوغر صدور بعض المبدعين والنقاد، ومن ثم، انقسموا إلى فريقين:

أولهما: رحب بالإبداع الأدبي الصادر عن تصور هذه الظاهرة، وعدّ ذلك مظهرًا صحيحًا من مظاهر الثقافة والإبداع. سيما، ومنتصف هذا القرن، شهد صحوة إسلامية مباركة، حاولت إسقاط الإسلام فكرًا وعقيدة على جميع إفرازات العقل البشري ومظاهر تفوقه، خاصة الإبداع الأدبي.

وثانيهما: جاهدوا في مواجهتها، وتخذيل كوادرها الناهضة، فهمشوا كل ما يصدر عن أدبائها من إبداع، وشككوا في كل ما أفرزته من نتاج في ساحة النقد في ضوء هذه الرؤية الإسلامية، متهمين دعاتها بـ: "الظلامية" والتراجع الحضاري المحطم للتقدمية والتغريب[1].

احتدم العراك بين هؤلاء وأولئك من فوق منابر الرأي ومدارس الفكر، وآلة الإعلام الرافضة للجهود المخلصة، التي استطاعت أن تتبوأ مكانا لم يكن ضيقا في عالم الإبداع الأدبي خاصة، حتى غدت

١- قاد هذه الحملة ضد الإسلاميين مجموعة من نقاد العلمانيين وعلى رأسهم، جابر عصفور. راجع كتابه المنشور ضمن سلسلة بعنوان: **التنوير بواجهة الإظلام**، لاسيما ص ٥٦ وما بعدها حيث يتبنى مشروعا يسخر خلاله مما يسمى بالأدب الإسلامي والنقد الإسلامي، متهما مبدعيه بالنفعية والتملق. فهم في نظره "طائفة تتوسل بادعاء الحفاظ على الإسلام للحفاظ على المكاسب الدولارية، وتعلن أنها تسعى نحو نظرية للأدب الإسلامي وعلم النفس الإسلامي. لإرضاء بيئة الثقافة الاتباعية السائدة في هذه البلاد (يعني بلاد النفط)... وتملقا لمجموعات المثقفين التقليديين في هذه البلاد من ناحية، واستمالة لقلوب أولي الأمر ممن يسعدهم تشجيع الدفاع عن الإسلام من ناحية ثانية، فيزداد الهجوم بقدر حجم المكاسب واللهى تفتح اللهى...، راجع، ص ٥٧-٥٨.

هذه النظرية منهجا إبداعيا أفرز أدبا استطاع نقاده مع مبدعيه أن يضعوا اللبنات الأولى لنظرية إبداعية، تصدر في إبداعها عن عقيدة الإسلام، بوصفه دينا شاملا ودستورًا، لتنظيم علاقات الحياة، سواء الإنسان بالإنسان أو الإنسان بالكون أو الإنسان وعلاقته مع الله.

انتشر النتاج الإبداعي لما يسمى بـ: "الأدب الإسلامي". وحاول النقاد الذين تناولوا هذه الأعمال بحس نقدي منبثق عن عقيدة الإسلام. واتسع نشاط هؤلاء الناس حتى فاضت صفحات الدوريات التي تصدر في العالم العربي والإسلامي بهذا اللون الإسلامي الجديد، الذي تهيأت له تربة خصبة متسعة اتساع الكون والحياة والإنسان، "العقيدة الإسلامية " بشمولها وثرائها الديني والفكري والسلوكي في غمرة هذا التراكم الإبداعي تنبه بعض المخلصين لمحاولة استخلاص بعض المقوّمات الفنية والإبداعية التي تشكل ملامح ما يمكن تسميته بنظرية "الأدب الإسلامي". حتى ليستلهمها المبدع عند إبداعه لأدب تشكل في ضوء التصور الإسلامي فعندما يتعامل الناقد المسلم مع أي نص إبداعي من نصوص هذا الأدب تكون لديه مقوّمات جمالية خاصة تحكم تصوره في مناقشته لهذا العمل، وثوابت منهجية قائمة على ثوابت الإبداع الفني في تشكيله العالمي، وثوابت فكرية مستمدة من العقيدة الإسلامية. وليس هذا معناه أن نفرغ النص من محتواه الفكري ونطوعه لمقاييسنا النقدية الصارمة، ولكن نبحث ونناقش النص في هذه المعارف أو المقاييس الجمالية التي يرتضيها الذوق الإسلامي، ولاسيما إذا عرفنا أن الأدب أيّ أدب لا يمكن أن يتخلى عن العقيدة أيّ عقيدة، حتى الأدب الذي أبدعه بعض المعتنقين لمذاهب فكرية وضعية أو أيديولوجيات بشرية، إذا بحثنا في جوهره وجدناه ملتزمًا بهذه العقيدة أو الأيديولوجية أيما كان منبعها...، حتى الأدب الجاهلي كان يصدر في كثير من نصوصه إن لم تكن كلها، عن عقائدهم السائدة آنئذ، بخلاف أن الأدب يشارك الدين في وظيفة من أسمى وظائفه وهي كونه يسمو بالنفس الإنسانية إلى إنسانيتها الحقيقية "فالفن والدين صنوان في أعماق النفس، وقرارة الحس. وإدراك الجمال الفني، دليل استعداد لتلقي التأثير الديني، حين يرتفع الفن إلى هذا المستوى الرفيع، وحين تصفو النفس لتلقي رسالة الجمال..."[٢].

كما أن الدين يلتقي في حقيقة النفس بالفن، والأدب جزء منه فكلاهما انطلاق من عالم الضرورة، وكلاهما شوق مجنح لعالم الكمال، وكلاهما ثورة على آلية الحياة[٣].

٢- سيد قطب، **التصوير الفني في القرآن**، دار الشروق، القاهرة، ط ١٠، ١٩٨٨م، ص ١٤٣، ١٤٤.

٣- محمد قطب، **منهج الفن الإسلامي**، دار الشروق، القاهرة، ط ٦، ١٩٨٣م، ص ٥.

الأدب في ظل هذا التصور الديني، وجد في مجال الدرس النقدي جدلًا ما زالت معركته قائمة، ولن تهدأ على الرغم من أن النظرية إذا جاز لنا أن نسميها كذلك قد استوى عودها وتجاوزت الفكرة طفولتها وأصبحت شابة فتية تبهر العين وتدهش النفس بعدما انتشر عبقها في عالم الإبداع الأدبي، وأصبحت لها مؤسسات ودوريات تتحدث باسمها، وتناقش أعمال مبدعيها في ضوء معطياتها الفنية والفكرية، واتساع النتاج الأدبي على ساحة العالم الإسلامي وصد للإبداع الأدبي والمنبثق عن تصورها ويصب في محيط رؤيتها.

على الرغم من كل ذلك، إن الموتورين من دعاة التنوير والعلمانيين يحثون دائمًا التراب في وجه دعاة القيم الإنسانية، والتزام الثوابت الدينية، إلا أن الأدب الإسلامي شق طريقه بثبات نحو عالم الإبداع فولد شامخًا شموخ العقيدة التي ينتمي إليها، ويترجم عن قيمها وثوابتها العريقة. بمقدار وعيه بالذات التي ينتمي إليها (الله ـ الكون ـ الإنسان)، بحيث يتفاعل معها وينفعل بها، فتنعكس في ذاته وتطفو في إبداعه تجارب إنسانية وحياتية قادرة على التعامل مع مفردات الكون وطبيعة الحضارة التي تشكل توجهات الحياة التي يحياها المجتمع في واقعه، يومه وغده.

بدأت الدعوة إلى "الأدب الإسلامي" في العصر الحديث، منذ التفكير في محاولة أسلمة منظومة الحياة في شتى مناحيها. لاسيما الثقافية والفكرية، عندما حاول المخلصون من مثقفي الأمة ومفكريها رد الأمة نفسها إلى الإسلام ردًا جميلًا، بعد أن لفت انتباههم سيطرة الفكر التغريبي على الحياة، هذا التيار الذي أفرزه الاستعمار الغربي في ربا الوطن العربي الإسلامي، فحملهم على التفكير في الواقع الفكري والحضاري والثقافي المقلق للأمة فضلًا عن حالة الاهتراء في الواقع السياسي والعسكري والاجتماعي ومحاولة تمزيق هذه الشرنقة التي خنقت أو كادت أن تخنق، حالة التواصل الحضاري والسطوع الفكري مع العقيدة الإسلامية في ذلك الوقت.

فكان أول من فكر في ذلك الأستاذ سيد قطب في دراسته "منهج الأدب" التي نشرت ضمن أحد كتبه: **في التاريخ فكرة ومنهاج**[٤]. فقدم خلالها مصطلحًا للأدب الإسلامي "فقال: الأدب ـ كسائر الفنون ـ تعبير موحٍ عن قيم حية، ينفعل بها ضمير الفنان. هذه القيم قد تختلف من نفس إلى نفس، ومن

٤- سيد قطب، **في التاريخ فكرة ومنهاج**، دار الشروق، القاهرة، ط٧، ١٩٨٧م، ص ١١١، وكذلك كتابه: **النقد الأدبي أصوله ومناهجه**، دار الشروق، القاهرة، ط٣، ١٩٨٠م، ص ٩٩.

بيئة إلى بيئة، ومن عصر إلى عصر، ولكنها في كل حال تنبثق من تصور معين للحياة، والارتباطات منها بين الإنسان والكون، وبين بعض الإنسان وبعض...".

ثم يشرح هذه الرؤية في مواطن مختلفة من هذا المبحث... والإسلام تصور معين للحياة تنبثق منه قيم خاصة لها، فمن الطبعي أن يكون التعبير عن هذه القيم، أو عن وقعها في نفس الفنان ذا لون خاص "وحين يتم التكيف الشعوري في النفس البشرية بالتصور الإسلامي الإبداعي للحياة، فإن أثر هذا التكيف يبدو في كل ما يصدر عن هذه النفس، لا على وجه الإلزام والإرغام، ولكن على وجه التعبير الذاتي عن حقيقة هذه النفس، يستوي في هذا التعبير أن يكون صلاة في المحراب، أو سلوكًا مع الناس، أو عملاً فنيًا وجهته تصور الجمال وتصور الحياة بما فيها من القبح والجمال".

وحينما أقول "إن الأدب موجه، وأن له منهجًا يلتزمه، فلا أعني بذلك التوجيه الإجباري على نحو ما يفرضه أصحاب مذهب التفسير المادي للتاريخ، إنما أعني تكيف النفس البشرية بالتصور الإسلامي للحياة وهو وحده سيلهمها صورًا من الفنون غير التي يلهمها إياها التصور المادي أي تصور آخر، لأن التعبير الفني لا يخرج عن كونه تعبيرًا عن النفس، والإسلام يرسم صورة للحياة في النفس، ويكيف النفس بهذه الصورة فتندفع في حركة واعية مبدعة إلى تحقيقها في عالم الواقعة بتطوير الحياة كلها في هذا الاتجاه"[٥].

والمفكر الإسلامي يقدم في بحثه "التصور الإسلامي" لفكرة الأدب في عمومه فهو تعبير: موحٍ عن قيم حية ينفعل بها ضمير الفنان"[٦] وخصوصًا "تنبثق من تصور معين للحياة"... "والإسلام تصور معين للحياة، تنبثق منه قيم خاصة لها" أي لهذه الحياة.

وهنا يقدم الناقد في مصطلحه ما يطمئن المتخوفين من أن "الأدب الإسلامي" لا يكون إلا أدب وعظ وإرشاد في تعبير مباشر فيكون ضعيفًا مملًا، لا تميل إليه النفس، لفقدانه مقومات الإبداع وحيويته فأحيوا ادعاء قديمًا: بأن "الأدب عندما ولج باب الإسلام ضعف ولان"، و"أن الشعر نكد لا يقوى إلا في الشر، فإذا أدخلته في باب الخير لان"[٧]. فلذا قدم الناقد "قطب" المعادلة المكتملة في إنجاح العمل الأدبي: "تعبير موح، وقيم حية ينفعل بها ضمير الفنان، تنبثق من تصور الإسلام".

٥- ما ورد بين الأقواس من كتاب: **في التاريخ فكرة ومنهاج**، مواطن مختلفة، ص ١١- ٢٩.

٦- قدم الأديب نفسه تعريفًا للأدب في كتابه **النقد الأدبي** فقال: "هو التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية".

٧- محمد طاهر درويش، **حسان بن ثابت**، دار المعارف، مصر، ص ٧٧.

وبهذا يكون قد اكتمل طرفي المعادلة التي تصنع أدبًا خالدًا، قادرًا على التواصل مع المتلقين، في حياة الأحياء من البشر، فإن المضمون الإنساني الإسلامي، لابد له من مقومات إبداعية تستطيع تقديم هذا الفكر، ولو انعدم أحد جناحي العمل الإبداعي لتحطم العمل كله، ولا يستطيع أن يكتب النص الأدبي شهادة ميلاده، مهما كان أحدهما موفقًا على حساب الآخر، فلابد أن يتوازنا معًا "فكل منهما مؤثر في الآخر كما يقول الناقد جيروم سولينتز...[٨] ومن ثم، فـ: "إن كلمات الصدق والورع والإيمان والتقوى والشجاعة إذا جاءت بمفردها عارية من الإشرافات الروحية التي يشعها البناء الفني أصبحت مجرد كلمات مملة لا توحي بشيء"[٩].

إذن، فالأدب الإسلامي في إبداعه شكله ومضمونه، يراعي إلى جانب الفكرة المضمون الذي ننتظره من المبدع الإسلامي، يراعي كذلك مقومات الشكل الفني، للوعاء الإبداعي. الذي تتشكل التجربة عبره وداخله، من ثم يحرص الأدب الإسلامي على القيم الفنية الجمالية في إبداعاته، وينميها ويضيف إليها بوصفها، تراثًا جماليًا عالميًا متاحًا لكل من لديه موهبة على الرغم من اختلاف اللغات والصيغ الفنية وخصوصيات التعبير.

يأتي بعد ذلك الأستاذ محمد قطب ليضيف على ما سبقه حلقة تضاف لتنمو بالتجربة وتدفع بها خطوة للأمام، ولعله طالع ما كتبه سابقه الناقد سيد قطب فأفاد منه، وأياً كانت الإفادة فالأخوان (محمد وسيّد قطب) يغرفان معا من معين واحد، ويصدران معًا عن ثقافة واحدة، وفكر واحد، ورؤية واحدة في الأعم الأغلب... إلا أن الأستاذ محمد قطب أراد أن يضع مفهوم الإسلامية ليشمل كل الفنون، كالرسم والتصوير، والفن التشكيلي، والموسيقى، فأبدل لفظة الفن بالأدب، والأدب جزء من الفن فقال في تعريفه "للفن الإسلامي" في كتابه **منهج الفن الإسلامي**: "إنه التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان، من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان"[١٠].

ثم راح يقدم شرحًا لهذا المفهوم كما فعل سابقه فقال: "الفن الإسلامي ليس بالضرورة هو الفن الذي يتحدث عن الإسلام، وهو على وجه اليقين الوعظ المباشر والحث على اتباع الفضائل، وليس هو كذلك حقائق العقيدة المجردة، مبلورة في صور فلسفية، إنما هو الفن الذي يرسم صورة الوجود

٨- فؤاد زكريا، **النقد الفني: دراسة جمالية وفلسفية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط ٢، ١٩٨٥م.

٩- نجيب الكيلاني، **الإسلامية والمذاهب الأدبية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٤، ١٩٨٥م، ص ٢٥.

١٠- محمد قطب، **منهج الفن الإسلامي**، ص ٦.

من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود... هو الفن الذي يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق، فالجمال حقيقة في هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال، ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود"(١١).

وإذا تصفحنا كتابه هذا لعثرنا بمجموعة من الأفكار وإن اختلفت صياغاتها اختلافًا ما، إلا أنها ترتكز على أسس النشاط الإبداعي ومقوماته فيقول: "الفن في أشكاله المختلفة هو محاولة البشر لتصوير الإيقاع الذي يتلقونه في حسهم من حقائق الوجود، في صورة جميلة موحية مؤثرة، والفنان شخص موهوب ذو حساسية خاصية تستطيع أن تلتقط الإيقاعات الخفية اللطيفة التي لا تدركها الأجهزة الأخرى في الناس العاديين، وذو قدرة تعبيرية خاصة تستطيع أن تحول هذه الإيقاعات التي يتلقاها حسه مكبرة مضخمة إلى لون من الأداء الجميل يثير في النفس الانفعال، ويحرك فيها حاسة الجمال..."(١٢).

والفن ليس فكرة ولا فلسفة، ولا مفاهيم مجردة كالتي تعني بها البحوث الفكرية في شتى الميادين، وإنما هو: الانفعال الذاتي الخاص بالأشياء والأشخاص من الأحداث، الانفعال الذي تتلقاه كل نفس مفردة، على طريقتها الخاصة في التلقي، وتنفعل به في أعماقها، وتعانيه معاناة كاملة بكل جزئياته وتفصيلاته، ثم تخرج من هذه المعاناة المشتبكة بوشائج النفس، النافذة إلى حناياها ودروبها المختلطة، برصيدها الخاص من المشاعر والتجارب والاتجاهات والميول. تخرج منها بتجربة شعرية معينة أو بإفراز معين يحمل السمات الذاتية لصاحبه في صورة جميلة يتوافر لها التأثير والإمتاع(١٣).

والمدقق في هذه المقتطفات للأستاذ محمد قطب يجد أنه لم يخرج كثيرًا عن مفهوم الأدب الإسلامي لأخيه الناقد سيد قطب، إلا أنه أسرف في توضيح مفهومه، وله العذر في ذلك، لأنه يعد من أوائل الذين نادوا بهذه الفكرة، فالتقط الخيط من أخيه الذي أوجز مفاهيمه عن صورة الأدب، أو منهج الأدب الإسلامي، في مبحث بسيط قليل الصفحات، أما هو فأراد أن يرسم الملامح العامة لهذا الفن الإسلامي، الذي أراد له أن يكون شاملاً شمول العقيدة الإسلامية، التي ينبثق عنها، في قيمه وأفكاره، وتصوراته. فالتصور الإسلامي للكون والحياة والإنسان، هو أشمل تصور عرفته البشرية... يأخذ الوجود كله بهادياته وروحانياته ومعنوياته بكل كائناته. تصور لا يجعل الحس بمعزل عن الحياة المنبثقة في أعمال

١١- المصدر السابق، ص ١١.

١٢- المصدر السابق، ص ١١.

١٣- المصدر السابق، ص ١٨٢.

الكون، بل يطلق الحس ليتمثل الحياة في كل شيء في هذا الكون، ويتصل بها اتصال المودة والقربى والإخاء...[١٤].

من هنا، ندرك أن التصور الفني الإسلامي للكون والحياة والإنسان، هو تصور كوني إنساني... مفتوح للبشرية كلها، لأنه يخاطب الإنسان من حيث هو إنسان، ويلتقي منه كذلك من حيث هو كائن تتلاطم داخله الأمواج، ومن ثم يستطيع أي إنسان أن يتجاوب مع هذا التصور، ويتلقى الحياة من خلاله بمقدار ما تطيق نفسه هذا التلقي، وذلك التجاوب[١٥].

في ظل هذه الشمولية الرائدة يحفزنا هذا الناقد الإسلامي أن ندفع بهذا المفهوم إلى حلبة الإبداع، ونحن مطمئنون تمامًا إلى أن الرؤية المستغرقة للخير المكاني (الكون) والحياتي (الواقع) والنمطي (الإنسان)، باستطاعتها إذا ما توافرت لدى مبدعينا مقومات الإبداع، والتي لم يغفل عنها المصطلح في ترسيمه الأول أن تقدم إبداعًا أدبًا فنًا رائعًا، قادرًا في الوقت نفسه على تصحيح المسار الاجتماعي في الحياة بكل جوانبها الحضارية، التي تفرز مجتمعًا حقيقيا، باستطاعته أن يكون نموذجًا للخلافة في الأرض، فيحقق إرادة الله تعالى في خلقه، ووجودهم في هذه الحياة.

وبعد أن وضع الأخوان سيد ومحمد قطب البدايات الأولى لمصطلح الأدب الإسلامي ومقومات إبداعه، في ضوء هذا التصور الإسلامي الشامل شمول الحياة الإنسانية ذاتها، بدأت الجهود تترى وتتدافع بعد ذلك لوضع التخطيط الدقيق لنظرية الأدب الإسلامي، لتكون نظرية كونية باستطاعتها أن تحتوي الإبداع في شتى مجالاته، الإنسانية والحياتية، إلا أن المفاهيم التي قدمها هؤلاء النقاد لم تخرج عن البدايات الأولى، ... ولذا في عجالة سنقدم هذه المفاهيم لنقف على الأسس الفنية لهذا الأدب الحضاري.

من هؤلاء الذين عنوا بـ: "الأدب الإسلامي" نظرية وإبداعًا:

الدكتور نجيب الكيلاني[١٦]:

لاشك أن نجيب الكيلاني طالع وأفاد مما كتبه الأخوان سيد ومحمد قطب، بل وتوفرت لديه

١٤- المصدر السابق، ص ١٣.

١٥- المصدر السابق، ص ١٨٣ بتصرف.

١٦- للأديب نجيب الكيلاني (١٩٣١م - ١٩٩٥م) أكثر من ثمانين مؤلفًا في الأدب الإسلامي نقدًا وإبداعًا، يتخذ التصور الإسلامي منهجًا لمعالجاته الفنية في هذه المؤلفات. راجع: كمال سعد محمد خليفة، "الكيلاني أديبًا"، رسالة ماجستير مودعة في كلية اللغة العربية بأسيوط، ١٩٩٢م.

بعض المشاريع الأخرى التي حاولت أن تتحدث حول موضوع أثر الإسلام في العلوم والفنون، واعتماده (الإسلامية) منهجًا في مطالعاته والموهبة الأدبية التي شكلت تجربة إبداعه الأدبي، ودراساته النقدية، والاجتماعية و الطبية، وانطلاق ما كنا نطلق عليه وقتئذ "الصحوة الإسلامية" في منتصف القرن العشرين... وغيرها، كل تلك القيم أو المقومات وغيرها هيّأت الظروف أمام نجيب الكيلاني ليخطو خطوة واسعة بالمصطلح الفني الحضاري لما يمكن تسميته بـ: الأدب الإسلامي، فنجده مثلًا في دراسته المبكرة وهو ما يزال طالبًا في كلية الطب **إقبال الشاعر الثائر** يقدم تصورًا عن ماهية الفن، فيقول: "إنه ذلك النتاج الفذ، أو العمل الرائع الذي تخرجه عقول ذات ميزة واستعداد خاص، والذي ينبع من صميم الوجدان النابض والشعور الواعي، والذي يصور مكنونات الصدور، ومخزون الأفكار في براعة وإبداع، والذي يرسم للحياة صورًا ناطقة صادقة"(١٧).

ولسنا هنا بصدد الحكم على فنية الصياغة، ولكن يحمد له مراعاته وهو حديث عهد بالتأليف، فهذا أول كتبه لمقومات الإبداع في الفن: نتاج فذ رائع (فني) تخرجه عقول ذات ميزة واستعداد خاص (الموهبة) نابع من الوجدان النابض والشعور الواعي (تجربة شعورية واعية) وأخيرًا يرسم للحياة صورًا صادقة (فنية في شكلها ومضمونها).

وهذا مفهوم عام للفن، أما كونه ينبثق عن الإسلام في تصوره ومعناه، فذلك ما قال به عند الحديث عن غايات الفن فقال: "الفن باعث للنور في دياجير الحياة، مرسل للبهجة في آفاقها، حامل لمشعل الأمل والهداية في جنباتها، جاعل من مادتها الثرية الفريدة متعة للنفس، وسعادة للروح، وتسلية لها في حياتها الصاخبة، ويسمو بالإنسانية نحو القمة المرموقة والآفاق الروحية التي تموج بما يسعد الحياة ويجعلها جديرة بالاحترام والحب، وهنا يلتقي الفن بالدين"(١٨).

فهذا الالتقاء الذي يقصده الأديب الكيلاني معناه: أن تكون عين المبدع وقلبه ولسانه يترجمون عن تجاربه الواعية الذاتية خلال التصور الديني الذي يحكم العلاقات المختلفة للإنسان مع أخيه الإنسان وهما مع الكون مع الحياة فلا يتخلى الأدب بالضرورة عن الدين حتى يصبح فنًا، كما يدعي أدباء الفن للفن ولكن إذا كان المسلم يحيى عقيدته، وتنفعل بها نفسه، فلابد في ترجمته عن هذه التجارب المنبثقة عن هذه النفس الإسلامية، أن يصطبغ بصبغتها. سيما والدين الإسلامي صبغة الله وفطرته، التي فطر الناس عليها.

١٧- نجيب الكيلاني، **إقبال الشاعر الثائر**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٤، ١٩٨٨م، ص ٣٨.

١٨- المصدر السابق، ص ٧٨ بتصرف.

بعد ذلك يلتحم نجيب الكيلاني بالإسلامية، سيما بعدما تغلغلت العقيدة في ذاته إلى درجة تصل إلى حد الإفراز الفكري والأدبي الخاص بها، فأصدر كتابه **الإسلامية والمذاهب الأدبية** في عام: ١٩٦٢م. وكان الكتاب في جوهره بمثابة استدراك على ما قدمه محمد قطب حيث تناول فيه الموضوعات التي كان نجيب الكيلاني وغيره من المهتمين بالأدب الإسلامي يرون أن كتاب **منهج الفن الإسلامي** جاء خلوًا منها، فأراد بكتابه هذا أن يتم البناء، ويقيم الصرح الذي نذر له نفسه فكرًا وإبداعًا... فقدم في هذا الكتاب أيضًا مفهومًا لا يبعد كثيرًا عن مفهومه الذي ذكرناه آنفا... حاولنا صياغته في: "أنه تعبير رائع ممتع عن النفس والحياة،... يتميز بالأصالة والصدق... تعبير عن التجارب الإنسانية في شكل فني ... متعارف عليه سواء أكان هذا الشكل قصة أو قصيدة أو مسرحية أو قطعة موسيقى"(١٩).

وحاول أن يفصل ما قدمه في عبارة أخرى تكشف ما أجمله من مفردات الفن فقال: "إن مادة الفن هي الحياة والنفس الإنسانية، ومقوماته هي الصدق والأصالة الفنية والمضامين السليمة، ومادة الدين هي الحياة والنفس البشرية، ومقومات الدين الصادق هي الصدق والأصالة والمثل العليا التي تتواءم مع واقع الحياة وتتطور معها وتشبعها بالسعادة والحب والإخاء والعدالة والحرية"(٢٠).

وغاية الفن الإمتاع، والإفادة والتحريض على بناء مجتمع أفضل، وغاية الدين لا تخرج عن إسعاد البشرية واستمتاعها بحياتها، وسيطرة المثل الفاضلة على علاقات البشر، والتهيؤ لعالم آخر... عالم أفضل(٢١).

وكأن الأديب الكيلاني هنا يحاول التأكيد على علاقة الدين بالأدب، سيما إذا كان هذا الدين هو دين الإسلام، الذي جاء لهدف إسعاد البشر كافة، فلابد أن يكون الأدب الذي ينبثق عنه أن يكون قائمًا على أسس جمالية مستمدة من الإسلام نفسه، وإذا انتفت عنه هذه المقومات أصبح عبثًا لا قيمة له، مثل أشياء كثيرة ولدت شائهة في حياتنا، فشوهت الصور الجميلة التي أبدع الله تعالى عليها الخلق والحياة.

ونجده في كتابه **مدخل إلى الأدب الإسلامي** ربما تحرر من القيود السياسية التي كانت تفرض

١٩- نجيب الكيلاني، **الإسلامية والمذاهب الأدبية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٩٨٥م، ص ١٣. ونلفت النظر أن هذا المؤلف كان بصدد إتمام لكتاب محمد قطب، لذا نرى أن الكيلاني في مقدمته لهذا الكتاب في ص ٩ ارتضى مفهوم محمد قطب للفن الإسلامي ولم يناقشه فيه.

٢٠- المصدر السابق، ص ١٣، ١٤.

٢١- المصدر السابق، ص ١٣، ١٤.

عليه آنئذ، فينطلق ليحدد مفهومه الخاص عن الأدب الإسلامي[٢٢]، الأدب المرتبط بالإسلام بوصفه عقيدة ربانية مميزة، فطرح فكرته عن هذا المنهج الإبداعي للأدب الإسلامي، أوضح فيه كل ما يتعلق بمفردات هذا المصطلح وناقش من خلاله بعض الهواجس التي تطن في آذان بعض المتخوفين من سيطرة الأدب الإسلامي، فيتجاوزهم قطار الشهرة الذي يركبونه الآن، ثم لخص كل هذه الأفكار في تلك الجمل القصيرة التي مفادها: أن مفهوم الأدب الإسلامي الشامل عنده هو: "تعبير فني جميل مؤثر نابع من ذات مؤمنة... مترجم عن الحياة والإنسان والكون. وفق الأسس العقائدية للمسلم... وباعث للمتعة والمنفعة ومحرك للوجدان والفكر... ومحفز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط ما..."[٢٣].

فلا شك أن نجيب الكيلاني في مفهومه للأدب الإسلامي، يعرض خبرته بعملية الإبداع الأدبي، إذ لا يفوته منها ما ينال من التجربة الإبداعية، فهو على وعي تام بمتطلباتها الفنية والموضوعية. فالتعبير الذي يراد به الشكل في مجمله لابد أن يكون فنيًا وجميلًا ومؤثرًا في الوقت نفسه، ولابد له أن يولد عن تفاعل بين الذات المبدعة والنص المبدع نفسه التجربة، وهذه الذات محكومة بتصور إيماني فاعل، له خاصية المشاركة في الحياة، واحتوائها لكل مفردات الإنسانية والكونية، وفق التنظيم العلائقي للعقيدة الإسلامية، وفي الوقت نفسه يبعث في تشكيله على المتعة والمصالحة غير المباشرة للمشكلات التي تعترض طريق الإنسان في هذه الحياة، فيحرك الوجدان الإسلامي والفكر العقدي، ليتخذ موقفًا لما يعرض له من هذه المشكلات الحياتية، فلا يخضع للواقع المعاش، أو يستسلم لمقولاته، وإنما ينشط ويتحفز دائمًا ليسمو فوق هذا الواقع، ويتخطاه إلى حيث تهدأ نفسه وتسكن جوانحه، وتبدل الحياة من كآباتها إلى النشوة الإنسانية العاقلة التي تمخض عن واقعية الإسلام الذي لا ينفصل فيها الواقع الأرضي عن الواقع السماوي بحقيقته العليا، وروحانيته وإعجازه وقدره... ومن ثم، يشمل هذا الواقع كل عناصر الواقع القائم واحتمالاته غير المنظورة أو المدركة فالواقعية الإسلامية تتجاوز البصر إلى البصيرة فترى بعينها الثاقبة المتزودة بنور الله

٢٢- يلاحظ على الكاتب في كتبه السابقة برغم أنها تتخذ الإسلامية منهجًا فكريًا في معالجاتها إلا أنه يقدم مصطلحًا مباشرًا عن الأدب الإسلامي فقد كان يطرح سؤالًا على نفسه: ما الفن؟ ويجيب عنه بمفهوم عام، ثم يحدد بعد ذلك علاقته بالدين أي دين.

٢٣- نجيب الكيلاني، **مدخل إلى الأدب الإسلامي**، ص ٢٦، سلسلة كتاب الأمة رقم ١٤ الصادر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية، قطر، ١٤٠٧هـ، ص ٢٦.

ما لا يمكن بأرقامه وقوانينه الأرضية أن يراه[٢٤] فهي إفراز للعقيدة الإسلامية التي تحمي الإنسان من الذوبان أو التهدم والسقوط في غياب الوضعيات الفكرية المتطاحنة والملتصقة بالأرض بوصفها واقعًا صلبًا تجتاحه أرجلهم من القفز الأعلى ولكنه قفز الجراد ذي الأرجل المقيدة، لكن الواقع الإسلامي لا يعدو كونه فلسفة خاصة في فهم الحياة والأحياء[٢٥] باستطاعة رؤيته الإسلامية أن تضفي عليها شيئًا من مقوماتها ومعطياتها، لتصبح واقعًا ملائمًا للمجتمعات التي تحتمي بالعقيدة، وتؤمن بها، وتبحث من خلالها كل شئونها حتى يبدو انفعال العقيدة بالواقع انفعالاً حقيقيًا، من ثم يصبح الأدب أو الفن عمومًا من وجهة نظر التصور الإسلامي، تعبيرًا عن الكون والحياة والإنسان من خلال التصور الديني حتى يبدو الفن وكأنه جزء من الدين أو نبض من نبضاته ومعبر عن روحه من أجل سعادة حقيقية خالدة وممتدة، و سيما إذا اتضح لنا أن الدين لم يأت إلا لتنظيم حياة البشر وإقامتها على أصول ثابتة واقعية، ومنتظمة، تحمي ذلك الكيان العام وتفتح الطريق لنموه المستمر، وتخلق فيه الحوافز البناءة، وتمده بالأمل والشوق إلى الاكتشاف وارتياد المجهول...[٢٦].

بعد هذه الانطلاقة التي صنعها نجيب الكيلاني المفكر والمبدع والناقد والمنظر للأدب والإبداع الأدبي، والذي قطع شوطا ليس بالقصير في ترسيم هذه النظرية حتى أنه لينتزع اعتراف شيخ الروائيين العرب أديب نوبل نجيب محفوظ، قال: إن نجيب الكيلاني يعد المنظر الأول للأدب الإسلامي في الإبداع العربي والإسلامي. لكن لم تكن جهوده على فرادتها لتضع نهاية للتفكير أوالإضافة الجادة النقدية والفكرية لنظرية الأدب الإسلامي فوجدنا الناقد والمفكر الجاد الذي أثرى حقل النقد الأدبي الإسلامي بكثير من الإسهامات العلمية النقدية من مثل كتبه القيمة: **مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي** و**في النقد الإسلامي المعاصر** ومحاولات جديدة في النقد الإسلامي ورؤية إسلامية في قضايا معاصرة وفي النقد التطبيقي التي عنيت بالنقد التطبيقي للإبداع الإسلامي في لغات مختلفة. وإن كان نجيب الكيلاني تبلورت جهوده في العملية الإبداعية والإسهام في تشكيل النظرية فإن عماد الدين خليل الناقد والأكاديمي والمؤرخ العراقي، تجلت إسهاماته في النقد التطبيقي، ولعل في ذلك تلبية لرغبة وتحقيقا لأمنية وسدا لثغرة كانت شاغرة، وكان يشكو الأدب الإسلامي من ضعف نتاجه أو سذاجة تجاربه، وهي فقر الدراسات النقدية المواكبة

٢٤- أحمد بسام ساعي، **الواقعية الإسلامية**، دار المنارة، جدة، ط١، ١٩٨٥م، ص ١٧، ٣٣.

٢٥- نجيب الكيلاني، **الإسلامية والمذاهب الأدبية**، ص ١١١.

٢٦- نجيب الكيلاني، **حول الدين والدولة**، دار النفائس، بيروت، ط ٣، ص ٥٣، ٥٤ بتصرف.

لعملية الإبداع في الأدب الإسلامي، مما جعل فارسا مغوارا يقتحم الحلبة، ويقصر جهوده على إغناء النظرية، وإثراء مراداتها بالنقد، الذي يبرز جماليات الإبداع في الأدب الإسلامي، ويقوِّم ويقيِّم في الوقت نفسه تجارب إبداعه، كي تشب التجربة عن الطوق ويستوي عودها وتثمر أرومتها، وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها... من ثم، وجدناه يقدم مفهوما أو مصطلحا من واقع تجربته، وتجليا لخبرته النقدية.

حاول الناقد عماد الدين خليل من خلال التحامه بعملية الإبداع الأدبي في ضوء الرؤية الإسلامية المفعم بمقوماتها الفكرية في التاريخ الإسلامي، وتصوره الفكري، فأفرز تجاربه الإبداعية المتنوعة، تنطلق في رؤاها من العقيدة الإسلامية فشحذ فكره كي يسهم بدوره في الكشف عن ملامح المصطلح الفنية والفكرية لهذا الأدب المنبثق عن الإسلام، بوصفه عقيدة تحتوي، وتنظم كل سلوكيات البشر في تعاملاته مع الآخرين في كتبه المتعددة التي اختصت بهذه المهمة.

فقال عن مفهومه للأدب الإسلامي: "إنه تعبير جمالي مؤثر بالكلمة عن التصور الإسلامي للوجود"(٢٧). وهذا التعريف في مجمله لا يخرج عن ما ارتآه سابقوه، إلا أنه خص التعبير بالكلمة ليخرج آليات التعبير الإبداعي الأخرى كريشة الرسام أو الآلة الموسيقية، أو الأزميل على أن هذه أدوات الفن وما تفرزه من إبداع، يسمى فنا لا أدبا... كما قدم التصور الإسلامي بوصفه إيمانا راسخا في ذات المسلم، فاتخذه نافذة يطل منها الأديب على الوجود كله، وكأن الأديب المسلم معني بأن يقدم تصوره المسلم لكل ما يعرض له من مشكلات، وهنا يكاد يكون الأمر أكثر تحديدا من سالفيه، بحيث يجعل الإسلام عقيدة وسلوكا للأديب يصدر عنه في كل تجاربه المتولدة عن معاناته التي يفرزها اليقين الإسلامي لمشكلات الواقع، وهنا يكون الأدب الإسلامي إفرازًا إبداعياً للأديب المسلم وحده دون غيره، لأنه يعبر عن رؤيته لهذه الأشياء أو الوقائع التي تعرض له، فتولد التجربة إسلامية خالصة منذ تكوينها في رحم الإبداع، ولا تولد تجربة إنسانية ثم يكسوها التصور الإسلامي. لكنها نابعة من ذات مؤمنة كما يرى نجيب الكيلاني سابقه. يقدم خلالها الأدب التصور الإسلامي المفعم للتجارب الحياتية للبشر، فهو تأكيد على ذاتية الإبداع الإسلامي وموضوعية التجربة. وخلال هذه الرؤية يلتقي الذاتي بالموضوعي، ويتفاعلان في رحم التجربة حتى تنضج، وتتولد عملا أدبيا إسلاميا خالصا...

وبعد هذه الجولة بين ردهات النقد الأدبي في رؤيته المنبثقة عن التصور الإسلامي، المتوضئ بقيم هذا الدين الحنيف، يتفجر من بين أركان هذه الردهات في وجهنا سؤال مهم:

٢٧- عماد الدين خليل، **مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ص ٦٩.

هل الأدب الإسلامي يتصادم أو يتضاد مع الأدب العربي؟ وهل بينهما توافق أم تضاد؟

عندما قامت الدعوة للأدب الإسلامي، أو أسلمة الأدب، رأينا كثيرًا من الاحتجاجات المتضادة مع هذه الدعوة، وكيف يحدث ذلك ولدينا أدب عربي؟ وهل سيصبح لدينا مصطلحين فنقع في تحديد المصطلحات، وتماهي المفاهيم النقدية لهذا الأدب؟ وهل هذان المصطلحان سيتقابلان أم يمتزجان في تعالق وتواد، يفرز تجارب ذات خصوصية مختلفة و فريدة؟

هذا ما واجهه الإخوة محمد قطب وسيد قطب ومن بعدهما الأديب الطبيب نجيب الكيلاني عندما تجاسروا وقدموا ما يسمى بـ: "الأدب أو الفن الإسلامي" فلاقوا من السخرية والاستنكار ما لا يليق إلا بمن يأتون بدعة منكرة، أو بهتانًا من القول وزورا.

يقول الكيلاني[٢٨]: "حينما قمنا ندعو إلى الأدب الإسلامي في أوائل الستينات من هذا القرن، فكان الأمر مدعاة للدهشة، إن لم نقل الاستنكار من غالبية المهتمين بالأدب والفن، وقال بعضهم: إننا لم نعرف إلا ما يسمى بالأدب العربي، في لغتنا العربية، ظنًا منهم أن الأدب الإسلامي سيكون بديلًا عن الأدب العربي... ولم يجل بخاطرهم أن الأدب العربي جزء من الأدب الإسلامي، وأن مصطلح الأدب الإسلامي، يتضمن الأساس العقائدي للأدب العربي، وذاك ليس في الأدب فلقد ظل الأدب في العالم أجمع مرتبطًا بالعقيدة الدينية، على مدى عصور طويلة حتى إذا كنا في العصور الحديثة، ولم يعد للسلطة الدينية وجهها الجماعي القديم، وراح الإنسان يبحث عن عقيدة أخرى، وظل هكذا ينتقل من عقيدة إلى عقيدة، ومن ثم، لم تخل أعماله الفنية وقتئذ أن تكون تعبيرًا عن عقيدة أيًا كانت هذه العقيدة..."[٢٩].

فالأدب الإسلامي، لا يتعارض مع الأدب العربي، ولا يزاحمه في مقاعده، ولكن بينهما علاقة الرحم والقرابة... فالأدب العربي مصطلح يطلق على الأعمال الأدبية المنشأة باللغة العربية أيًا كانت مضموناتها واتجاهاتها وعصورها، أما الأدب الإسلامي فمصطلح يطلق على الأعمال التي تعالج قضية ما، برؤية إسلامية صافية، سواء كتبت باللغة العربية أو بغيرها من اللغات المختلفة، ومن ذلك، فالأدب الإسلامي كل، بعضه ما يسمى بالأدب العربي، فبين الأدب العربي والإسلامي إذًا أمومة وقرابة، فقد ولد الأدب الإسلامي في أحضان الأدب العربي..."[٣٠].

٢٨- نجيب الكيلاني، **آفاق الأدب الإسلامي**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ص ٥.

٢٩- عز الدين إسماعيل، **الشعر في إطار الثورة**، دار العودة، بيروت، ١٩٧٦م، ص ١٩.

٣٠- عبد الباسط بدر، **مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي**، دار المنارة، جدة، ط١، ١٩٨٥م، ص ٨١.

ولهذا يقول الناقد إقبال عروي[٣١]: عندما أعلن النقاد مصطلح الأدب الإسلامي، لم يرج في خلدهم أنهم يخرجون على الناس ببدعة جديدة، وإنما كانوا يأملون، ويعملون على تصحيح مسار الأدب العربي، ومن ثم، فهم يعلنون بأن الأدب الإسلامي لا يتعارض مع الأدب العربي، ولا يزاحمه في مقاعده، لأن بينهما علاقة وطيدة، وكل ما في الأمر أن الأدب العربي قديمًا عاش في أحضان العقيدة الإسلامية، وتنفس مبادئ الدين وقيمه، حتى أضحى إطاره العام من أجل ذلك فقد اكتفى النقاد، وفي مرحلة لاحقة بمصطلح الأدب العربي.

أما في العصر الحديث، فقد ظهرت مذاهب وأفكار مخالفة للإسلام عمل أصحابها على تجسيدها في آدابهم وفنونهم، ولم يعد الإسلام الإطار الأوحد، ولم تعد قيمه الحد الفاصل، لأجل ذلك فقد ظهر لأولئك النقاد، أن التركيز على مصطلح الأدب الإسلامي، أمر مشروع يفرضه الواقع والعقل معًا.

وعلى ذلك، فالأدب الإسلامي لا يرفض الأدب العربي، أو يلغي شيئًا منه، فلا ينكر ما يعرف بالأدب الجاهلي أو صدر الإسلام أو الأموي أو العباسي، بما فيهم من شعر ونثر، يوافق الأدب الإسلامي أو يخالفه، بل يرى في الأدب العربي ميدانًا رحبًا، يضم تيارات شتى منها ما هو جزء من جسد الأدب الإسلامي ذاته..."[٣٢].

فالأدب الإسلامي أدب كل الأزمنة، الماضي والحاضر والمستقبل، ولا ينحصر في الفترة النبوية بل يتجاوز البعد التاريخي ويدوم ويستمر بديمومة الإسلام واستمراريته.

ومن خلال هذا العرض السريع نرى: أن لا تصادم بين ما يسمى اصطلاحًا بـ: "الأدب العربي"، أو "الأدب الإسلامي"،... كما أن الأخير منهما لا يزاحم الأول ولا يلغيه ـ كما يظن البعض ـ إلا أنه بمثابة إضاءة للأعمال الأدبية التي تصدر عن تصور إسلامي راق، وكان من الممكن أن يسمى كما هو شائع بين الدارسين بالتيار الإسلامي أو الاتجاه الإسلامي في الأدب العربي، لتذوب تخوفات المتخوفين الأدب العربي، غير أن الرؤية الإسلامية الشاملة التي لا تقتصر على الجنس العربي وأدبه، أو الرغبة في إيجاد صلة عملية تجمع بين آداب الشعوب الإسلامية قاطبة، وفي مقدمتها الأدب العربي[٣٣].

٣١- إقبال عروي، "مصطلح الأدب الإسلامي المعاصر" مقال بمجلة **رسالة الجهاد**، عدد: ٩٥ السنة التاسعة يناير ١٩٩١ م.

٣٢- عبد الباسط بدر، **مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي**، ص ٨٣.

٣٣- المصدر السابق، ص ٩١ بتصرف.

هذا ما جعل النقاد الإسلاميين يعدلون هذه المسميات ليكتسب المصطلح العالمية الشاملة، شمولية الإسلام، وعمومية رؤيته الإيمانية، والقرآن الكريم، ولذا فالأدب الإسلامي امتداد طبيعي للأدب العربي لا يناقضه أو يقابله... أو يرفضه كما يدعي المتقولون.

ومن هنا، يقفز في وجهنا سؤال آخر، ربما يراكم الإشكالية ويعقد منطلقاتها، وهو إذا كان الأمر كذلك، إذا ما حاولنا استكناه واحتواء تلك النتاجات الإبداعية، التي ربما يكون مبدعها لا يدين بالإسلام، بوصفه عقيدة تتملك وجدانات المجتمع الذي يدين بها المجتمع الذي نعيشه، وتتجاذب الناس، مسلمهم وغير مسلمهم، تلك القضايا، وتلك المشكلات المطروحة بيننا في المجتمع، المضطرم بالحركة والمفعم بالحيوية الثقافية والفكرية، التي ينضجها المجتمع. فهل للعقيدة دور في قبول النتاج الأدبي أو رفضه سيما إذا كان يحمل قيما ومثلا، ويتمثل منهجا فكريا ورؤية إنسانية، تفيء إلى ظلال الإيمان وتتنافر مع فيح الانحراف وقيظ الانحلال؟

هنا وجدنا أنفسنا في مواجهة السؤال المطروح: هل للعقيدة أثر في قبول أو رفض الأدب أو الإبداع الذي تنتجه نفس مفعمة بعبير الإيمان فضلا عن كونها آمنت بالإسلام عقيدة، أو لم تعتنق الإسلام وإن كانت لا ينفيه وجدانها، أو تأباه فطرتها التي خلقه الله عليها؟

يتراءى لكثيرين من الناس أن الأدب الإسلامي هو الذي تسود بين سطوره آيات من القرآن الكريم، أو مقتطفات من الأحاديث النبوية، أو بعضا من الحكم أو المأثورات الإسلامية لحكماء وفقهاء وعلماء الإسلام، مما يتنافى مع فنية الأدب. ونسوا أن من البديهي الذي يحدب عليه نقاد الأدب الإسلامي "أن كلمات الصدق والورع (وما ينحو نحوها) إذا جاءت خالية من الإشراقات الروحية التي يشعها البناء الفني، أصبحت كلمات مملة لا توحي بشيء"[٣٤]. فالأدب الإسلامي أدب إنساني، يرتفع بإنسانية الإنسان من عاديته إلى المستوى المطلوب. فكل انقداح من أعماق المشاعر الإنسانية، صادق مرتفع متعالٍ، متسامٍ، غير متهافت، في أي موضوع من المواضيع التي يستوعبها الإسلام، بقيمه الإنسانية، جمالية كانت أو جلالية... هو أدب إسلامي[٣٥]، سواء تخللت سطوره أو إبداعات شكله الفني، آيات القرآن الكريم، أو الأحاديث النبوية، أو المأثورات، أم لم يحدث ذلك. ولكننا ما نشترطه على الأديب، أن يجيد بوعيه

٣٤- نجيب الكيلاني، **الإسلامية والمذاهب الأدبية**، ص ٢٥.

٣٥- حوار أجري على صفحات **مجلة الحرس الوطني السعودية**، العدد ٩٤، مع الشاعر السوري عمر بهاء الدين الأميري.

وحسه الفنيين استخدام هذه المعطيات التراثية والثقافية، عند بناء الشكل الفني لأعماله، بحيث لا تظهر وكأنها رقعة في ثوب جميل تؤذي العين وتزري بالعمل الأدبي كله(٣٦).

الأدب الإسلامي كما اشترط بعض النقاد لابد أن يكون مبدعه مسلما، ملتزمًا بحياة الإسلام فكرًا وسلوكًا، ويتمتع في الوقت نفسه بموهبة خلاقة، وخيال خصب. فيتسنى له الإبداع الأدبي، بما يتساوق مع فطرته، ويتلاءم مع عقيدته، وما يرتضيه النقاد من معطيات فنية وجمالية. إذ يقول الناقد والمفكر الإسلامي الأستاذ محمد قطب: "... لا يكفي أن يكون الإنسان مسلمًا، لكي ينشئ فنًا إسلاميًا، تتحقق فيه شروط الفن، وليس يكفي بطبيعة الحال لذلك أن يكون فنانًا أي فنان، ليصل إلى التعبير عن الفن الإسلامي، فالإسلام وحده لا يكفي لإنشاء فن إسلامي...".

بينما انفلت من هذا القيد بعض النقاد الآخرين، ومنهم أيضًا محمد قطب نفسه وعماد الدين خليل ما جعلهما يبحثان عن نماذج الأدب الإسلامي في مؤلفيهما(٣٧) من إبداعات لأدباء غير مسلمين أمثال: الشاعر الهندي طاغور والكاتب الأيرلندي سينج، وكذلك راح عماد الدين خليل يبحث عن القيم الإيمانية في مسرحية للكاتب الأسباني إليخاندرو كاسونا. ومحمد أبو بكر حميد، في أعمال شكسبير فلا ينبغي كما يقولون أن نهمل فنًا رفيعا ونظيفا وإيمانيا صادرًا عن أديب غير مؤمن بالإسلام، لكونه غير مسلم فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها.

يقول عماد الدين خليل: عن مسرحية **مركب بلا صياد** "... فيها يلتقي الشعر بالخيال بالإيمان، ويتعالق الفن والحياة في تكوين رائع هادف، ويتقابل قدر الله، وإرادة الإنسان في تناغم وجداني مؤثر، وفيها ينتصر الخير على الشر، والحياة على الموت، والقيم على الانحلال، في غنائية تنساب في جنبات الوجدان... ففي هذه المسرحية وجد نموذجًا للأدب والفن اللذين ينبثقان عن تصور إيماني للحياة، دون اعتساف ولا مباشرة، ولا روح تعليمية..."(٣٨).

وهذا ما لم يبعد عنه الأستاذ محمد قطب في كتابه **منهج الفن الإسلامي** عندما ذهب يبحث عن نصوص أدبية تدلل على رؤيته الإسلامية للفن أو الإبداع ولم تسعفه آنئذ نصوص إبداعية عربية تعبر عن وجهته، فقال: "إن الفن الإسلامي ليس وقفًا على المسلمين وحدهم من الفنانين، فالتصور الإسلامي

٣٦- محمد قطب، **منهج الفن الإسلامي**، ص ١٨.

٣٧- المصدر السابق، وعماد الدين خليل، **في النقد الإسلامي المعاصر**، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣٨- عماد الدين خليل، **في النقد الإسلامي المعاصر**، ص ٦٩.

تصور كوني، إنساني، مفتوح للبشرية كلها، لأنه يخاطب الإنسان من حيث هو إنسان، ويلتقي معه كذات من حيث هو إنسان، ومن ثم، يستطيع أي إنسان أن يتجاوب فيلتقي مع الفن الإسلامي بهذا المقدار"[٣٩].

وهذا ما سعى إليه الأستاذ محمد أبو بكر حميد[٤٠] فيقول: "إن القراءة الواعية لمسرحيات شكسبير من منظور إسلامي، ستضعنا أمام جوانب الاتفاق معه، أكثر من جوانب الاختلاف، لأنه كتب أدبًا إنسانيًا رحبًا، واسع الأفق، يتفق مع الرؤية الإسلامية في كثير من الجوانب، أكثر من اتفاقه مع النظرة المسيحية... إذن تصبح الإسلامية معادلة للإنسانية، إنسانية الحق والخير والفضيلة والمحبة..."[٤١].

ومن خلال رحلتنا مع هذه الآراء، سواء المؤيدة لكون الأدب الإسلامي لا يصدر إلا عن ذات مسلمة، تعيش الإسلام عقيدة وفكرًا وسلوكًا... أو الرافضة المنفتحة على الآداب الأخرى تبحث عما يتوافق مع الرؤية الإسلامية في الآداب الأخرى، أجنبية كانت أو محلية، كتّابها يدينون بالإسلام أو بغيره من العقائد الأخرى. نرى أنه يمكن أن نجمع الأمر من أطرافه، فنقول: إن الأدب الإسلامي فعلًا لابد أن يصدر عن أديب عاش الإسلام فكرًا وسلوكًا، حياة شاملة يتصرف من خلال رؤية الإسلام وفي دائرته المتسعة اتساع الكون والحياة، الشاملة شمول العقيدة الإسلامية وديمومتها، فإن ذلك أجدى على الأدب الإسلامي من تهافته وراء النصوص والمرقعات المضمونية هنا وهناك مما نظنه يتوافق مع رؤيتنا للإبداع الأدبي الذي ينبثق عن رؤية أو تصور إسلامي... فالأدب الإسلامي كل متكامل، لا يمكن أن تتشتت عناصر تكوينه، فتجري وراء ما يوافقه، وتنحى ما لا يوافقه. فإن إسلامية الأدب لا تعني أن يكون العمل إنسانيًا لا يصطدم بالتصور الإسلامي فقط، فهناك جانب آخر وهو جانب الشكل، إذ أن الشكل الأدبي ينبثق عن ذوق معين وتصور معين للأديب، وهذا ما شأنه أن يحدث خلخلة في البناء الإبداعي، فلا ينبغي أن نقبل الانقسام بين الأدب وسلوك الأديب... إن الالتزام شرط أساسي والمقصود به[٤٢] أن يحيا الأديب الإسلام فكرًا وسلوكًا وإبداعا.

٣٩- محمد قطب، **منهج الفن الإسلامي**، ص ١٨٢- ١٨٣ بتصرف.

٤٠- أستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود للأدب ونقده، وله من المؤلفات كثير مما تخصص في جمع تراث الأديب: علي أحمد باكثير، ودراسته شكلاً وموضوعًا.

٤١- محمد أبوبكر حميد، "ملامح إسلامية في إبداعيات شكسبير"، مقال بمجلة **المنهل**، السعودية، العدد: ٤٨٠.

٤٢- نقلاً عن: "أزمة إبداع أم أزمة حضارة؟" مقال للكاتب المغربي أحمد الأشهب بمجلة **رسالة الجهاد**، عدد: ٩٣، ليبيا.

وهنا يقفز في وجهنا سؤال: ما موقفنا من هذه الإبداعات التي تتفق والرؤية الإسلامية؟ ولم استدل بها هؤلاء النقاد"؟

نقول: إن النصوص الإبداعية في أزيائها الفنية المختلفة التي تتفق في بعض عناصرها، أو مضامينها مع التصور الإسلامي، لا نلفظها فـ: "ما لا يدرك كله لا يترك جله"، وعلى هذا ندعو نقادنا لإيجاد اصطلاح لهذه النصوص يمكننا من الإفادة التي نلمسها في جوانب إبداعية مهمة، ولكننا نطالب بحشرها داخل إطار مضبوط يفي بالدلالة ولا يبقى على الارتجالية والفوضى(٤٣).

ونوافق الناقد الأستاذ محمد إقبال عروي: في التماس العذر للأستاذ محمد قطب وتابعه عماد الدين خليل، في استشهادهما بنصوص أدبية غربية للتدليل على نظرية الأدب الإسلامي، أو فنه، بأن ذلك(٤٤) يرجع إلى الفقر الذي يعيشه النقد الإسلامي على مستوى المصطلحات، فالإسلامية كمصطلح نقي، تتسم به النتاجات الأدبية الإسلامية. ولعل في هذا ما يرقى لأن يكون سببًا جوهريًا للتساهل والانفتاح على مثل هذا النوع من الأدب الذي لا يصدر عن أديب مسلم في التصور والسلوك.

وعلى ذلك نقبل بالأدب الذي يصدر عن ذات مسلمة تحيا الإسلام في كل جوانب حياتها ودوافعها، ولا نرفض كذلك هذه الإشراقات المضمونية التي يزخر بها التراث العالمي، فنقبل منها ما يتيح لنا الارتقاء بالنظرية أدبنا الإسلامي وإغنائها، حتى ينشط المتحاورون من نقادنا الإسلاميين، ويجدوا لنا مصطلحًا يجعل هذه النصوص تدخل في دائرة الإبداع الأدبي الإسلامي. فها نحن مدعوون لغنى مصطلحي، في محيط الأدب الإسلامي، بأي لغة كتب في أي مكان، وأي زمان. ففي حمى التلازم بين الأدب الإسلامي والشخصية الإسلامية، يتجاوز هذا الأدب الحدود الزمانية والمكانية التي قيده بها مؤرخو الأدب العربي، لأنه امتداد لا ينتهي، وتحول لا يحد، فكما نعد الأدب الذي قيل في الأندلس إسلاميًا، إذا جاء ممثلًا للرؤية الإسلامية، وصادرًا عن ذات مسلمة فإننا لا نعتد بالأدب الذي لم يحمل هذه الرؤية، وإن عاش صاحبه في الجزيرة العربية، وفي عصر صدر الإسلام..."(٤٥) لا نعده أدبًا إسلاميًا.

وفي الوقت نفسه، ينبغي أن ندرك، أن الأديب الإسلامي في إبداعه لا يقتصر على مواجهة المشكلات أو القضايا الخاصة بالمسلم، أو بالإسلام، بل إن الأدب الإسلامي والأديب المسلم يجب أن

٤٣- محمد إقبال عروي، مقال: "مصطلح الأدب الإسلامي المعاصر"، **رسالة الجهاد**، عدد: ٩٥.

٤٤- المرجع السابق والصفحة نفسها.

٤٥- مصطفى عليان، **مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي**، دار المنارة، جدة، ١٩٨٥م، ص ١٤.

يكونا صاحبي رأي فيما يجري حولهما، ولو في غير عالم المسلمين، فالكون كتاب مفتوح للأديب المسلم يقرأ فيه ما شاء، لمن يشاء، وليس أدل على ذلك من أن أديبًا كـ: "نجيب الكيلاني" تعرض في روايته **دم لفطير صهيون** لحادث اغتيال أحد القساوسة النصارى على أيدي شرذمة من اليهود في دمشق، وهذه قضية قد لا ترتبط بالإسلام أو المسلمين، ولكن الكاتب آثر أن يوسع دائرة الأدب الإسلامي، ومجالاته الإبداعية، فحاول أن يجسد هذه المأساة غير الإنسانية، عبر أثر فني رائع وأخاذ، شكلًا ومضمونًا، ليبرهن عن حقيقة سافرة: أن الأدب الإسلامي يتسع أفقه لكل الآلام والآمال الإنسانية، من منطلق رفضه للظلم الإنساني، أو الخلل الاجتماعي في أي تربة أو زمان!

نتائج الدراسة:

بعد هذه الإطلالة على آفاق الإبداع الأدبي الذي أراد أن يجعل تربته الخصبة ومعينه الشعر المدرار عقيدة الإسلام فكرا ومنهجا ورؤية، يعالج عبرها ومن خلالها كل القضايا التي تطفو على سطح المجتمع وتتشاغل بها آلامه وتسطع من خلالها الآمال، وقيم الحق والخير والجمال، التي تعنى بها الأمة والعلماء والأدباء والمفكرون والمنظرون في الفكر والثقافة وكل فنون الإبداع.

عبر هذه الرؤية التي تحاول أن تقدم تصورا خاصا للعملية الإبداعية، سواء في نتاج النصوص أو الأعمال الفنية والأدبية المختلفة، أو نظرية المعالجة النظرية النقدية، التي تحاول تقديم الرؤية التي تجلي التماعات الجمال في النص الأدبي وأمارات الجلال عبر نسجها وانسجامها في متن النص أو إطاره الإبداعي.

حاولت الدراسة أن تستكنه بعضا من القيم التي تمثل ملمحا مهما من ملامح هذه النظرية، وجهود المبدعين والنقاد، فاستطاعت أن تسير بعضا من أصول هذه النظرية في ضوء التراكم النقدي والفكري، الذي لا ينفصم، أو يتصادم مع التراث العالمي في مجال الإبداع أو النقد العربي الإسلامي والعالمي، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها. من ثم، تهيأت عبر هذه الجهود تربة خصبة وصالحة، لأن تتسع للإبداع وفق قيم الإسلام ووجهة نظره، أو رؤيته، وتصوره لمعالجة أي قضية إنسانية أو اجتماعية، تنوعت أو تعددت، أو اتسعت وتشعبت معطياتها، لأن الأدب الإسلامي تهيأت له تربة، تتسع اتساع هذا الكون الفسيح والحياة بكل فورانها وتشابكاتها والإنسان وتناقضاته المتشابكة والمتصادمة... العقيدة الإسلامية بشمولها وثرائها، هي المحضن الإنساني الفسيح، لكل هذه النتاجات الأدبية والفكرية والإبداعية.

توصلت الدراسة إلى عدة أفكار يمكن أن نخالها نتائج علمية أو إبداعية تصلح منطلقا لإثراء النقاش حول هذه النظرية الإبداعية الأدبية، التي يتصل حبلها السري بالإسلام، أفقا وتصورا ورؤية، لما يعن في المجتمع، مسلميه وغير مسلميه، من مشكلات وقضايا، يومية وحياتية، في شتى منطلقاتها وشرائحها وقيمها الإنسانية والحضارية...، من هذه الأفكار:

١- أن الأدب أو الإبداع أيا كان نوعه أو رؤيته، **لا** يمكن أن يتخلى عن العقيدة أو الدين أي دين.

٢- أن الأدب يشارك الدين في أهم وأسمى وظائفه، وهي كونه يسمو بالنفس الإنسانية ويفيء بها إلى إنسانيتها الحقيقية. فالدين والفن كلاهما كما يقول أحد النقاد(٤٦): "انطلاق من عالم الضرورة، وكلاهما شوق مجنح لعالم الكمال، وكلاهما **أيضًا** ثورة على آلية الحياة".

٣- الأدب الإسلامي أدب يهتم بقيم الفن والجمال، التي تتوفر للمبدعين في الآداب الإنسانية، التي تسمو بإبداعها وتضعه في مقامه الرفيع، بقدر اهتمامه بالقيم الروحية والإنسانية والحضارية، التي يعنى بها الإسلام، بوصفه دينًا يحمي الإنسان من السقوط أو الذوبان في هويات متصادمة **مع فطرته أو صبغته التي خلقه الله عليها**... فالأدب الإسلامي يراعي إلى جانب الفكرة **المضمون، كل مقومات الشكل الفني**، الذي تتشكل فيه وعبره التجربة. **ومن ثم**، يحرص الأديب على القيم الفنية الجمالية، **وينميها ويضيف إليها، بوصفها** تراثا جماليا عالميا، **متاحا لكل من لديه موهبة**، على الرغم من اختلاف اللغة والتصور أو خصوصيات التعبير.

٤- إن غاية الأدب الإسلامي كأي أدب أو فن إنساني هدفه الإقناع والإفادة، والتحريض على بناء المجتمع وعمارته كأفضل مجتمع. إذ أن الدين غايته لا تخرج عن مهمة إسعاد البشر وإمتاعهم بحياتهم كأفضل ما تكون الحياة. **ومن هنا**، تتحقق القيمة الإنسانية والحضارية للإنسان في عمارته لهذا الكون، والمشاركة في تشكيل رؤيته الجمالية، **كي تتحقق هذه القيم الحضارية للبناء (الخلافة)**.

٥- الأدب الإسلامي لا يرفض الأدب العربي أو يناقضه أو يصطدم به **أو يلغي وجوده الحضاري** في الحياة، **بل يرى فيه** (أي الأدب العربي)، **ميدانا رحبا، يتسع لتيارات شتى، منها ما هو جزء من الأدب الإسلامي ذاته**.

٦- **إن الأدب الإسلامي يتسع لكل الآلام**، ويجبو نحو إثراء وتحقيق كل الآمال الإنسانية، **من** منطلق رفضه بكل ما يصادم أو يجافي معاني أو قيم الحب أو الخير أو الجمال، **بل ويدفع نحو**

٤٦- محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، ص 5.

البناء الحضاري لإنسان المجتمع، مسلما كان أو غير مسلم، من منطلق المسئولية الإنسانية والدينية والحضارية التي أناطه الله بها. فالإسلام دين رحمة للعالمين، ولم يكن يوما قاصرا على المسلمين وحدهم دون غيرهم، فمن يشاركونهم الحياة أو المجتمع لهم دورهم وإسهامهم الحضاري الذي يطرح تجارب إبداعية تنطلق من الرؤية الإنسانية والحضارية التي تعنى بمنظومة القيم والأخلاق التي لا نقول تنبثق عن الدين الإسلامي الذي ربما لا يدينون أو يعترفون به، ولكنها لا تصطدم بمنظومة القيم الحضارية التي نتفق عليها، ولا نختلف على فاعليتها في البناء والتفاعل الحضاري الإنساني، التي اهتمت به واختارته كل أديان السماء، من هنا تصبح العقيدة ليست المؤشر أو هي العنصر المؤثر أو الأساس، في قبول أو صلاحية التجربة الإبداعية، التي تلتئم لحمتها مع كل هذا البناء الحضاري والتراث القيمي الذي يهدف إليه الإسلام في بناء الإنسان المسلم أو المتحضر بحضارة الإسلام.

فالإسلام لا يرفض كل تجربة تعنى بالارتقاء الحضاري، وتدعم وجود واعتناق القيم الإنسانية البانية، والتراكم الإنساني والأخلاقي لتجارب الإنسانية جمعاء.

٧- إن الأدب الإسلامي في أفضل مفاهيمه لا يعدو أن يكون: "تعبير فني جميل مؤثر نابع من ذات مؤمنة... مترجم عن الحياة والإنسان والكون... وفق الأسس العقائدية للمسلم... وباعث للمتعة والمنفعة، ومحرك للوجدان والفكر... ومحفز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط ما".

تطرح هذه الدراسة كل هذه الأفكار والنتائج، بوصفها مشاريع بحثية تغني التجربة الإنسانية والحضارية للإبداع الإسلامي، وتشرع بابا جديدا تجاه تجربة نقدية جديدة، تطرح تصوراتها، وفق المشروع الحضاري الإسلامي، وتضيء الطريق أمام المبدعين والنقاد على السواء، في عالمنا الإسلامي بواقعه المعاش.

Islamic Literature: the Problematics of Terminology

Despite the proliferation of literary efforts in recent times under the broad category of "Islamic Literature", according to the writer, the term requires an elaboration to determine its distinct identity in the mass of world literature.

The writer examines the literary trends that are usually placed in the category of 'Islamic Literature'. He raises the key question with regard to the terminology employed in various writings on the subject. He

provides a perspective from which greater clarity could be obtained in this regard. He also emphasizes the fact that 'Islamic literature' is not something divorced from the over-all human literary endeavor, but it is very much a part of it.

****